

ماذا يحدث للعقائد المسمومة بمرور الزمن؟

لاينا فرهات هولزمان

موقع قضايا أمن الأسرة

5 يناير 2010

What Happens to Poisonous Ideologies Over Time?

By Laina Farhat-Holzman

Family Security Matters Website

ترجمة: علي الحارس

- مؤرخة أمريكية من أوائل المنبهين إلى خطر التطرف الجهادي.
- عملت أستاذة في تاريخ العالم والحضارة الإسلامية. جامعة غولدن غيت (سان فرانسيسكو).
- نشرت أبحاثا حول الثورة الإيرانية والحركات الإسلامية المتطرفة حول العالم في مجلة (التقرير الحضاري المقارن).
- عملت مستشارة ثقافية في برنامج مشترك بين وزارة الدفاع الأمريكية والقوة الجوية الإيرانية.
- دكتوراه من جامعة جنوب كاليفورنيا.



لاينا فرهات هولزمان

بعد أن كدنا نتعرض لهجوم إرهابي في عيد الكريسماس. ينبغي علينا أن نلقي نظرة بعينين واسعتين على ما يحدث لمثل هذه الحكايات الفظيعة بمرور الوقت.

ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان، فهو يحتاج إلى القيم أيضا. وهنا يذكرنا الصحفي الحكيم ديفيد بروكس بحاجة الإنسان إلى الحكايات، أي: القصص التي تخبره بهويته وموقعه في المجتمع؛ ومن لا يملك مثل هذه الحكايات يكون ذا نزعة انتحارية في العادة. ولحسن الحظ لا يشكل مثل هذا الإنسان إلا قلة قليلة من الناس. وكما هو حال كل الظواهر البشرية، تختلف الحكايات من قبيلة إلى قبيلة، ومن أمة إلى أخرى؛ وبمرور الوقت، تغير الأمم حكاياتها مع ما في ذلك من عواقب مفيدة أو كارثية.

الشيوعية

كان القرن العشرين ميدانا لقصص جديدة تفتشت عبر العالم وغيرت سلوك وحياتة الناس. حيث ظهرت الشيوعية من رحم الثورة الروسية وحاولت أن تكنس كافة القيم السابقة. ولاقت هذه الحكاية تأييدا حماسيا من الناس بتبنيها للمساواة الاقتصادية

ماذا يحدث للعقائد المسمومة بمرور الزمن؟

(لا أغنياء وفقراء بعد الآن). والأخوة العالمية (لا قومية شوفينية بعد الآن). والمساواة الدينية وبين الجنسين (لا سياسة معادية لليهود أو إساءة للمرأة بعد الآن). لكن النتيجة كانت. ويا للأسف. بعيدة عن أي من الشعارات السابقة؛ بل كان الاتحاد السوفييتي امبراطورية شمولية استخدمت وسائل الترويع على معظم «مواطنيها» كي يتناغموا معها.

النازية

قامت النازية. أو القومية الاشتراكية. بإحياء الشعور بالكبرياء القومي لدى الألمان المحبطين من نهاية الحرب العالمية الأولى. ووعدتهم بإعادة الاقتصاد إلى ما كان عليه. وخلق عالم جديد شجاع يحكمه الألمان. لكن المشكلة في هذا الطرح كانت في أنه أدى إلى خسارة ألمانيا للعلماء والفنانين والكتّاب الذين صنعوا عظمتها. كما أطلق وحشا لم يكن له اسم من قبل أن تسميه النازية (الإبادة العرقية) لما اعتبروه «أعراقا دنيا». وكان ثمن ذلك فادحا.

الإسلاموية

في الفترة ذاتها ولدت ايديولوجيا أخرى ألهبت العالم في وقتنا الراهن: الفاشية الإسلامية (الإسلاموية). وهي شكل من أشكال الإسلام يمزج ايديولوجيات الإسلام الأصولي مع الشمولية النازية والشيوعية. وهما توجهان حازا إعجابا شديدا من مؤسسي هذا التوجه الجديد؛ ويعتبر تنظيم الإخوان المسلمين. والذي باض وفرخ في مصر. الأب الروحي لكافة المنظمات الإسلامية التي تعمل في العالم في يومنا هذا.

تقول حكاية هؤلاء أن الإسلام ينبغي أن يسيطر مرة أخرى على جميع الأديان؛ وأن المسلمين يجب أن يحكموا. أما باقي البشر فينبغي أن يسلموا. فيصبحوا عبيدا. أو يبادوا؛ وأن أي خداع يرتكب للمضي قدما بهذه الحكاية مباح من الله. أما الخطة بعيدة المدى لهذا التوجه فتهدف إلى الاستيلاء على العالم. إن هذه الايديولوجيا مع ما يرافقها من

ماذا يحدث للعقائد المسمومة بمرور الزمن؟

منهج الموت ذات خطر يقع معظمه على المسلمين أنفسهم، والذين يمتلئون رعبا وخوفا من أن يسقط أبناؤهم في دوامة هذه الأفكار المسمومة.

ماذا يخبرنا التاريخ عن محصلة أمثال هذه الحكايات المسمومة؟ بما أنها جميعا على حد كبير من التطرف، فإنها تصبح في النهاية عرضة للفساد، والقرارات الخاطئة، والانفجار من الداخل، وتدميرها من قبل دول الجوار. حيث انهارت الامبراطورية النازية عام 1945 بعد أن قامت بتحويل أوروبا إلى مقبرة كبيرة، أما اليوم فلدى ألمانيا حكاية مختلفة جعلتها مسالمة، ومزدهرة، ومسؤولة. إذن: الحكايات بإمكانها أن تتغير.

أما الشيوعية فقد انهارت من الداخل، ولحسن الحظ. حدث ذلك دون صراع مفتوح مع الغرب. وتعمل الامبراطورية الروسية السابقة على نسج حكاية جديدة حاليا، وقد تكون هذه الحكاية غير فعالة بشكل كامل إلى الآن. لكن الملاحظ أن تحسينات كبيرة قد أدخلت على الحكاية القديمة.

لقد أشعلت الحكاية الإسلامية نار حرب مع الغرب وأدت إلى توتر هائل في العالم الإسلامي نفسه. حيث نسمع اليوم أن (الجمهورية الإسلامية في إيران)، وهي ابنة عم تنظيم الإخوان المسلمين، تعيش حاليا في خضم فوضى واسعة لما ضاق به الشعب ذرعا من الحكاية ورجال الدين الذين يحكمونهم. وفي باكستان نجد الكثير من المثقفين الذين لا تقف ثقافتهم حائلا دون العيش في حالة إنكار لاعتبار الإسلاموية هي المشكلة، فيستمررون بتكرار هراء نظرية المؤامرة التي يعزونها بموجبها ما يقاسون من هجمات إلى المخططات الأمريكية أو الإسرائيلية، لكن من حسن الحظ أن العسكر هناك أفضل في معرفة واقع الحال.

إن الحكايات التي تدعو إلى الكراهية، وتمجد منهج الموت، وتفشل في الترويج لاقتصاد دولة القانون الذي يؤدي إلى الازدهار، إنما هي حكايات محكوم عليها بالانهيار. والحكايات

ماذا يحدث للعقائد المسمومة بمرور الزمن؟

التي تروج لاضطهاد المرأة، ومعاقبة المفكر الحر، والترهيب العنيف للسكان والجوار، إنما هي حكايات تمضي نحو مزبلة التاريخ، وليس هنالك من يستطيع أن يوقف مسيرها هذا.